التجارة والمال في القرآن الكريم
دراسة دلالية

د. ندى عبد الرحمن الشايع

التجارة حرفة شهر بها العرب قبل الاسلام وبعده ولا سيما اهل مكة لكون ارضهم صخرية لا ماء فيها ولا زرع فانصرفوا الى النشاط التجاري وساعدهم على ذلك احترام العرب لهم لانهم حماة الكعبة وبلادهم – مكة المكرمة– مركز للتجارة بين اليمن والشام والحبشة(١) .وقوافل قريش معروفة عند العرب تسير آمنة مطمئنة تجوب البلاد طولاً وعرضاً فوصلت الى غزة وبيت المقدس ودمشق وعبرت البحر الاحمر الى الحبشة وكانت لهم رحلتان في العام رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام .

وللتجارة أصولها وقواعدها وقوانينها التي تتناغم والقيم الأخلاقية العربية العالية ، فلا يستطيع العربي الخروج عليها والا كان مصير تجارته الكساد ، وتجسدت تلك المفاهيم في آي الذكر الحكيم في تحديد العلاقات المالية والتجارية التي تتسم بالنضج والرقي وتنمية المال بالكسب الحلال .

وينماز التاجر بالحذاقة حتى وصف الحاذق بالامر تاجرا ، وذكر ابن الاعرابي ان العرب تقول انه لتاجر بذلك الأمر أي حاذق وأنشد (٢) .

ليست لقومي بالكتيف تجارة   لكنَّ قومي بالطعان تجار

أي انهم مهرة بالطعان .

يبدو لي ان المعنى الاصلي للتاجر هو الحاذق ثم انتقل اللفظ للدلالة على من حرفته البيع والشراء لأن الحذاقة صفة لازمة له والا كان مصير عمله الكساد .

التجارة عند المعجميين العرب تعني البيع والشراء (٣) ، وقد غلب اسم التاجر على الخمار كقول الأعشى (٤) :

ولقد شهدت التاجر الا   مّان موروداً شرابه

والتجارة عند ابن خلدون (٥) ((تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأغلى أو بيعها بالغلاء على الآجال)) . فاشترط ان يكون الشراء بالرخص والبيع بالغلاء اياً ما كانت السلعة ، والقدر النامي يسمى ربحاً.

يلاحظ مما تقدم ان ابن خلدون يشترط وجود الربح لتكون التجارة خلافاً للمعجميين العرب الذين اطلقوا لفظة التجارة على البيع والشراء واذا ما كان هناك ربح لهذه العملية قالوا

(ربح فلان في تجارته) اذا أفضَلَ وأربَحَ إذا صادف سوقاً ذات ربح وخلاف الربح الكساد فيقال سوق كاسدة اي بائرة وسلعة كاسدة .(٦) ولعل المعجميين العرب ضمنوا التجارة عملية البيع والشراء سواء اكانت رابحة ام خاسرة وهذا ما نلمسه في قوله تعالى ((وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا)) التوبة ٢٤ وقوله تعالى ((تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)) فاطر ٢٩ ، وقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)) الصف١٠ ، التجارة في الايات الكريمات الثلاث عملية تحتمل الربح والخسارة الا انها في الاية الاولى اريد بها تجارة دنيوية وفي الايتين الاخيرتين اريد بها تجارة اخروية ربحها اكيد لا خسران فيها ، فهي ((التجارة بين اهل الايمان وحضرة الله تعالى كما قال تعالى ((إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ)) التوبة ١١١ دل عليه ((تؤمنون بالله ورسوله))(7) ، فالنجاة من غضبه وعذابه والفوز بمرضاته وثوابه ان لا يبخلوا باموالهم وانفسهم وما يحبونه في دنياهم من اجل دينهم وآخرتهم ، اما التجارة الدنيوية التي يخشون كسادها جاءت في آية تبين المضار الدنيوية التي يجب ان يتحملها المسلمون ليبقى الدين سليماً بعد ان كانت هذه المصالح الدنيوية عندهم اولى من طاعة الله والجهاد في سبيله وطاعة رسوله يمنعهم من ذلك هو الحب المتعلق بغير الله ورسوله (ص) (٨) والجهاد في سبيل الله وهو حب الاباء والابناء والاخوان والازواج والعشيرة والمال المكتسب والتجارة والانشغال بها بقوله تعالى ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ)) التوبة ٢٤ ، وفي قوله تعالى ((رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)) النور ٣٧ ، صاحبت لفظة (البيع) لفظة التجارة في سياق وصفه تعالى للمؤمنين الصالحين الذين يمارسون الاعمال والحرف بشتى انواعها حتى اذا جاء وقت الصلاة وغيرها من العبادات والواجبات تركوا كل عمل دنيوي وانصرفوا اليه(٩)ومما يثير الاهتمام في هذه الاية الكريمة عطف لفظة (البيع) بعد توكيد النفي على لفظة (التجارة) والتجارة كما تقدم تجمع بين الشراء والبيع فذهب بعض المفسرين الى المراد من التجارة في هذه الاية الكريمة الشراء (10) ، وذهب اخر الى ان البيع ربحه يقين ناجز والشراء ربحه شك مستقبل ، فالبيع اكثر الهاء للانسان(١١) وبما أن البيع هو الركن الاساس في عملية التجارة ويتوخى فيه التاجر الربح فيكون كل فكره منشغلاً بكيفية الحصول على هذا الربح فلا وقت لديه للتفكير الكامل بالامور الاخروية ولا حتى الجمع بينها والامور الدنيوية فعليه اذا ما نودي للصلاة ترك البيع والانصراف كلياً إلى ذكر الله جل وعز كما في قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) ٩ الجمعة

وفي السورة نفسها صاحبت لفظة (التجارة) لفظة (اللهو) فجاءت الثانية معطوفة على الاولى ب(او) مرة و ب(الواو) متبوعة ب (من) التبعيض مرة اخرى ، حيث يقول جل من قائل ((وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)) الجمعة ١١ ، المراد باللهو استعمال او الضرب على الدفوف والطبول والعزف على المزامير لاعلام الناس بالتجارة وتنبيههم على وجوب التجمع فالتجارة أهم لديهم من ضرب الطبول وعزف المزامير فلهذا تقدمت على اللهو في المرة الاولى وعاد الضمير اليها لانها أهم إليهم من اللهو أو لأنها كانت المقصودة في نفسها واللهو مقصود لاجلها(١٢) ويرى بعضهم ان الضمير يعود الى احدهما اكتفاءً به وكانه على حذف والمعنى وإذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهواً انفضوا اليه فحذف (اليه) لدلالة (اليها) عليه (١٣) . فكل منهما سبب الانفضاض والتجمع (ولذا ردد بينهما وقال ((تجارة أو لهواً)) ولم يقل تجارة ولهو)(١٤). وقال عزمن قائل ((من اللهو ومن التجارة)) ولم يقل من اللهو والتجارة . وتقدم (اللهو) على (التجارة) لان التجارة هي لهو بحد ذاتها ولا سيما الركن الاساس في التجارةالا وهو البيع ((لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجراذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته مالا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح)) (١٥) وخص الله سبحانه وتعالى البيع من التجارة في قوله ((رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ)) النور ٣٧ .

وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالتجارة الشراء من باب تسمية النوع باسم الجنس(١٦) . ويبدو لي ان هذا الراي بعيد عن الصواب لان التجارة شاملة للشراء والبيع واستعملت في القران الكريم للدلالة على هذا المعنى الا ان الله سبحانه وتعالى خص البيع بعدها لانه اكثر الهاءً للتاجر واشغالاً لقلبه عن ذكر الله والتوجه اليه سبحانه وتعالى في كسب الربح الدنيوي الزائل.

والالهاء يكون في الاولاد كما يكون في المال فكلاهما فتنة وزينة الحياة الدنيا الزائلة . تتجذب اليهما النفس انجذاباً فتفتتن وتلهو بهما عما يهمها من امر الاخرة وكثيراً ما نهى سبحانه وتعالى عن الانشغال بهما والاغفال عن ذكره في بؤس كان او نعمة كقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ)) المنافقون٩ ،وقوله تعالى((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ))الانفال ٢٨ ، وقوله تعالى ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) الكهف ٤٦ ، وقوله تعالى ((وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى)) سبأ ٣٧ ، وقوله تعالى ((إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)) التغابن ١٥ ، وقوله تعالى ((قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)) نوح ٢١ .

يلاحظ في الايات الكريمات ان لفظة (المال) تتقدم على لفظة (الاولاد) او (البنون) وهذا يدل على ان النفس البشرية تفضل المال على الولد وتحبه حباً كثيراً كما جاء في قوله تعالى ((وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)) الفجر ٢٠ / لحرصهم على الدنيا فقط وابتعادهم عن امور الاخرة . وفي قوله تعالى ((إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ))التوبة ١١١ ، قدم (الأنفس)على (الأموال) لأن النفس أغلى من المال عند البشر والبذل فيها اقصى غاية الجود. واستعمل الفعل (اشترى) استعمالاً مجازياً ،((قال اهل المعاني : لا يجوز ان يشتري الله شيئاً في الحقيقة لان المشتري انما يشتري مالايملك ولهذا قال الحسن: اشترى أنفسا هو خلقها واموالاً هو رزقها لكن هذا ذكره تعالى لحسن التلطف في الدعاء الى الطاعة، وحقيقة هذا ان المؤمن متى قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه وينفق ماله في سبيل الله اخذ من الله في الاخرة الجنة جزاءً لما فعل فجعل هذا استبدالاً وشراءً))(١٧) ، وهو من لطيف التمثيل صوره سبحانه وتعالى بيعاً وجعل نفسه مشترياً والمؤمنين بائعين وانفسهم واموالهم سلعةً، والجنة ثمناً والقرآن سنداً للمبايعة))(١٨) ،وفي قوله تعالى((الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)) التوبة ٢٠ ، في هذه الاية الكريمة يلاحظ ان الجهاد في سبيل الله يكون ببذل المال والنفس والدرجة واحدة عند الله سبحانه وتعالى لمن يبذلهما فواو العطف تجمع كليهما في الحكم في هذه الآية والتي سبقتها (التوبة ١١١) ، وفي قوله تعالى ((وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ)) التوبة٤١ ، فان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الجهاد يجب على من له المال والنفس ، ومن لا يملك نفسا سليمة صالحة للجهاد ولا مالا يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد لا يجب عليه الجهاد والجهاد يجب أن يكون بالنفس إذا انفرد وقوي عليه وإذا ضعف عن الجهاد بنفسه يكون بالمال (١٩) .

وفي قوله تعالى((سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا))الفتح ١١ صاحبت لفظة(الاهل) لفظة (المال) وكلاهما بصيغة الجمع ومضافة الى جماعة المتكلمين

لتدلل على الارتباط الوثيق بالعشيرة والحرص على مالها والانشغال بامور افرادها اعاقهم عن الخروج مع الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكة المكرمة في عام الحديبية وقالوا : (يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم) (٢٠) ثم انهم مع العذر تضرعوا وقالوا (فاستغفر لنا) . وعزا الرازي(٢١) هذه الاضافة ولا سيما في (اموالنا) (لان جمع المال يصلح عذراً لانه لا نهاية له واما حفظ ما جمع من الشتات ومنع الحاصل من الفوات يصلح عذراً فقالوا (شغلتنا اموالنا) اي ما صار مالاً لنا لا مطلق الاموال) .

وكثرة المال والاولاد ولاسيما البنين تصيب الناس بالغرورفلا سعادة لهم الا فيها ولا شقاء معها والعذاب في فقدها ولاعذاب معها كما في قوله تعالى(وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) سبأ٣٥ وقوله تعالى ((أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ)) القلم ١٤ ، فهو يفعل كل فعل يمتاز بالرذيلة المذكورة في آيات سابقة لانه كان ذا مال وبنين فاصابه الغرور وكفر بنعمة الله (وتلبس بكل رذيلة خبيثة بدل ان يشكر الله على نعمته ويصلح نفسه)(٢٢) ، ويوصي الله سبحانه وتعالى الرسول وينهاه عن الافتتان بكثرة اموال المنافقين واولادهم بقوله تعالى ((فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))(٢٣) التوبة ٥٥، فتكون بذلك نقمة عليهم لا نعمة كان تكون عرضة للتغنم والسبي او تصرف في أبواب الخير على كراهية منهم (٢٤) أو يشاركهم فيها الشيطان بحملهم على المعصية كالربا والمكاسب المحرمة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام في قوله تعالى ((وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ))الاسراء٦٤ .

والمال محبب لدى الانسان (فكأنه مأخوذ من الميل لكونه مما يميل اليه القلب)(٢٥) فيحرص على جمعه حتى وان كان من غير وجهه كما في قوله تعالى ((وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)) الفجر ٢٠ واكثر ما يطلق المال عند العرب على الابل لانها كانت اكثر اموالهم كما جاء في قوله تعالى ((أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ)) الشعراء ١٣٣ ، وفي قوله تعالى ((وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)) نوح ١٢ وقوله تعالى ((وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)) الاسراء ٦ ، وقوله تعالى ((أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ)) المؤمنون ٥٥ ، جاءت لفظة (المال) دون ان تخصص ولعل المراد بها الذهب والفضة لانهما اصل المال ثم اطلق على كل ما يقتنى ويملك من الاعيان (٢٦) كما في قوله تعالى ((وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) التوبة ٣٤ ، وتبقى القرينة هي الوحيدة التي تحدد نوع المال في القران الكريم والحديث النبوي الشريف وما بعدهما من تراث العرب .

والمال زينة الحياة الدنيا كما جاء في القران الكريم (٢٧)الا انه في قوله تعالى ((وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))يونس ٨٨ جمع بين الزينة والمال بواو العطف التي هي للجمع المطلق فكأن الزينة شيء والمال شيء آخر وقد فرق بينهما الرازي في قوله (الزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والمال ما يزيد على هذه الاشياء من الصامت والناطق) (٢٨)، ويبدو لي ان هناك فرقاً بين (زينة الحياة الدنيا) و (زينة في الحياة الدنيا) فالثانية مطلقة موجودة في هذه الحياة الزائلة والاولى خاصة بالحياة الدنيا لاضافتها إليها ألا وهي المال و البنون .

وزينة الحياة الدنيا الثانية بعد المال (الاولاد) جمع (ولد) وهو يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى كما في قوله تعالى ((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ)) الانفال ٢٨ ، وقوله تعالى ((كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا)) التوبة ٦٩ ،وقوله تعالى ((إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا)) الكهف ٣٩ ، وقوله تعالى ((وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)) سبأ ٣٥ وقوله تعالى ((وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى)) سبأ٣٧ وقوله تعالى ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)) الحديد ٢٠ وفي ايات اخرى حلت لفظة (الابن) محل (الولد) مصاحبة لفظة (المال) كما في قوله تعالى ((وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)) نوح ١٢ ، وقوله تعالى ((أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ)) القلم ١٤ ، وقوله تعالى ((يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ)) الشعراء ٨٨ويبدو لي ان الاستعمال القراني للفظة(الولد) يراد به الرهط والعشيرة وقد استبدلت بلفظة (النفر) للدلالة نفسها في قوله تعالى ((فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)) الكهف ٣٤ ، وقوله تعالى ((وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)) الإسراء/٦ وحلت لفظة (الأهل) محلهما للدلالة على الرهط والعشيرة أيضاً في قوله تعالى ((سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا)) الفتح ١١ .

وفي قوله تعالى ((وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ)) البقرة ٢٧٩ ، ذكر راس المال وهو ما يعرف بأصل المال يصرف في وجوه المعاملات واصناف الكسب وقد امر الله سبحانه وتعالى بعض المؤمنين ممن كان ياخذ الربا وله بقايا على مدينيه بأخذ أصول أموالهم الخالصة من الربا فلا يظلمون باخذ الربا ولا يظلمون بالتعدي الى رؤوس اموالهم(٢٩)

وفي قوله تعالى ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ)) البقرة ١٩٨ ، وقوله تعالى ((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)) الجمعة ١٠ ، وقوله تعالى ((وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ)) المزمل ٢٠ ، استغنى عن ذكر لفظة (التجارة) بذكر ما يدل عليها الا وهو (ابتغاء فضل الله) في هذه الحياة الدنيا لكسب المال الحلال او الرزق في التجارة (٣١) سواء أكان في الحج أم غيره وفي قوله تعالى ((لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ)) الحشر ٨ ، أي يطلبون من الله الرزق في الدنيا والرضوان في الاخرة فهي تجارة دنيوية اخروية .

وفي قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)) الصف ١٠ ، وقوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)) فاطر ٢٩ ، استعملت لفظة (التجارة) استعمالاً مجازياً لان ما يعمله المؤمنون بمنزلة التجارة لانهم يربحون بفوزهم بالثواب والنجاة من العقاب وهذه التجارة ربحها اكيد خلافاً للتجارة الدنيوية التي تحتمل الربح والخسارة .

ويبقى المال لله سبحانه وتعالى خالق الخلق ومالك الملك قال تعالى ((وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)) النور٣٣ ، وصدق الله العلي العظيم

الخاتمة

اهتم هذا البحث بدراسة حقل من الحقول الدلالية الخاصة بالقرآن الكريم في مجال (التجارة والمال) وبعد رصد الألفاظ الخاصة بهذا الحقل ودراستها دراسة دلالية عمادها الأول السياق تم تسجيل الملاحظات الاتية :

١- يبدو أن لفظة (تاجر) كانت تعني (الحاذق) ثم انتقلت للدلالة على من يحترف البيع والشراء لأن الحذاقة صفة لازمة له والا كان فاشلاً في مهنته .

٢- التجارة عملية البيع والشراء سواء أكانت رابحة أم خاسرة . وما ذهب اليه بعض المفسرين ان المراد بها الشراء من باب تسمية النوع باسم الجنس يبدو لي بعيداً عن الصواب واستعملت في القرآن الكريم للدلالة على الشراء والبيع ؛ الا ان الله سبحانه وتعالى خص البيع بعدها في قوله عز من قائل ((رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)) النور ٣٧ لان البيع اكثر الهاء للتاجر واشغالا لقلبه عن ذكر الله والتوجه اليه سبحانه وتعالى في كسب الربح الدنيوي الزائل .

٣- في القرآن الكريم اريد بها تجارة دنيوية وتجارة اخروية ربحها اكيد لا خسران فيها واستعملت استعمالاً مجازياً لأن ما يعمله المؤمنون بمنزلة التجارة لانهم يربحون بفوزهم بالثواب والنجاة من العقاب وهذه تجارة ربحها أكيد خلافاً للتجارة الدنيوية التي تحتمل الربح والخسارة (٣٠) .

٤- في القرآن الكريم استغني عن ذكر التجارة بذكر ما يدل عليها وهو (ابتغاء فضل الله) (٣١) .

٥- النفس البشرية تفضل المال على الولد وتحبه حباً كثيراً لهذا تقدمت على (الاولاد) و (البنون) في القرآن الكريم وكلاهما زينة الحياة الدنيا الزائلة .

الهوامش /

=========

[١]) أنظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي / حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط السابعة ، ١٩٦٤ ، ١ / ٦١ .

[2]) أنظر : لسان العرب ، ابن منظور ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٣٠٨ هـ ، ٥/ ١٥٦ ، مادة (ت ج ر) .

[3]) ديوان الأعشى ، شرح وتعليق د . م محمد حسين ، مكتبة الأدب ، المطبعة النموذجية ، الجمامير ، د . ت ٢٨٩ .

[٤]) كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر / ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ ، ١/ ٣٣٠ .

[٥]) أنظر : لسان العرب ٤ / ٣٨٣ مادة (ك س د) .

[٦]) التفسير الكبير / الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية / طهران / ط٢ / د.ت ٢٩ / ٣١٦

[٧]) أنظر : الميزان في تفسير القرآن / محمد حسين الطباطبائي/ منشورات الاعلمي / بيروت/ ط٣ / ١٩٧٣ / ١٠ / ٢٠٨

[٨]) أنظر : تفسير القران العظيم / ابن كثير/ دار الجيل / بيروت / ١٩٨٨ ، ٣ /٢٨٥ والتفسير المبين / محمد جواد مغنية ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ط٢ ، ٢٠٠٢ ص ٤٦٣.

[٩]) أنظر : الكشاف/ الزمخشري/ دار المعرفة / لبنان / د .ت ٣/ ٦٨ وتفسير القران الكريم ، عبد الله شبر / مؤسسة دار الهجرة / ط ٦ ، ١٤٢٤ ، ص ٣٥٥

[١٠]) أنظر : الكشاف / ٦٨/٣ ، التفسير الكبير ٢٤ / ٤ ، تفسير القران الكريم ص ٣٥٥ .

[١١]) أنظر : معاني القران/ الفراء / عالم الكتب / بيروت / ط٣ / ١٩٨٣ ٣/ ١٥٧ ، والميزان في تفسير القران ٢٨ / ٢٧٤

[١٢]) أنظر : مجمع البيان في تفسير القران / الطبرسي / مكتبة الحياة / بيروت / د .ت ٢٨ /٧٨

[١٣]) الميزان في تفسير القران / ٢٨ / ٢٧٥

[14]) الكشاف / ٣ / ٦٨ .

[15]) أنظر : الكشاف / ٣ / ٦٨ ، وتفسير القران الكريم ص ٣٥٥ .

[16]) التفسير الكبير / ١٦ / ١٩٩

[17]) أنظر : الميزان في تفسير القران / ١١/ ٣٩٥.

18) أنظر : التفسير الكبير / ١٦ /٧٠ .

19) الكشاف ٣ / .٥٤٣

20) التفسير الكبير ٢٨ / ٨٨

21) الميزان في تفسير القرآن ٢٩ / ٣٧٢.

٢٢) التوبة٦٨

٢٣) الكشاف / ٢ / ١٩٦

٢٤) الميزان في تفسير القران ٢ / ٥١ / ٥٢

٢٥) اللسان ١٤ / ١٥٨

٢٦) سورة الكهف / الآية ٤٦

٢٧) التفسير الكبير / ١٧ / ١٤٩

٢٨) الميزان / ٢ / ٤٢٣

٢٩) الأشباه والنظائر في القران الكريم / مقاتل بن سليمان / الهيئة الحصرية العامة للكتاب / القاهرة / ١٩٧٥ / ١ / ١٤٠-١٤١

٣٠)انظر سورة الصف آية ١٠ ، فاطر ٢٩ .

٣١)انظر سورة البقرة آية ٩٨ ، الجمعة آية ١٠ ، المزمل آية ٢٠ .

المصادر والمراجع

القران الكريم

١- ابن خلدون / كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ .

٢- ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨

٣- ابن منظور / جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، لسان العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٠٨ هه

٤- الاعشى الكبير ميمون بن قيس ، ديوانه ، شرح وتعليق د . م محمد حسين ، مكتبة الاداب ، بالجماميز، المطبعة النموذجية ، د . ت

٥- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٤

٦- الرازي ، الفخر الرازي، التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط ٢ ،د . ت

٧- الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشاف ، دار المعرفة ، لبنان ، د . ت

٨- الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، منشورات الأعلمي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٣

٩- الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسين ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د .ت

١٠-عبد الله شبر ، تفسير القرآن الكريم ، مؤسسة دار الهجرة ، ط ٦ ، ١٤٢٤

١١- الفراء ، معاني القران ، عالم الكتب ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٣

١٢- محمد جواد مغنية ، التفسير المبين ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط٢ ، ٢٠٠٢

١٣- مقاتل بن سليمان ، الأشباه والنظائر في القران الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، ١٩٧٥

a. أنظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي / حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط السابعة ، ١٩٦٤ ، ١ / ٦١ .

[٢]) التفسير الكبير / الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية / طهران / ط٢ / د.ت ٢٩ / ٣١٦

[3]) أنظر : الميزان في تفسير القرآن / محمد حسين الطباطبائي/ منشورات الاعلمي / بيروت/ ط٣ / ١٩٧٣ / ١٠ / ٢٠٨

[4]) أنظر : تفسير القران العظيم / ابن كثير / دار الجيل / بيروت / ١٩٨٨ ، ٣ /٢٨٥ والتفسير المبين / محمد جواد مغنية ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ط٢ ، ٢٠٠٢ ص ٤٦٣.